سلسلة مطويات شبكة بينونة

الإسراء والمعراج

الشيخ
د. محمد بن عيث عيث

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ أما بعد؛

أيها المسلمون، نقف معكم اليوم على حدث من أحداث التاريخ العظام، ودرس من دروس سيرة رسول الإسلام، ومعجزة من معجزات خير الأنام صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام، تواترت به الأخبار، وأجمع عليه أهل الآثار، حدث هزّ مكة بأرجائها، وزادت به قريش في عتوّها، بل من هول سماعه ارتد أناس، وعظم عند البعض الالتباس، حير العقول، وخرق ناموس المشاهدة، وأحزن الرسول حتى قال ﷺ: «لما كان ليلة أسري بي، وأصبحت بمكة، فظعت بأمري-أي اشتد عليّ وهبته من فظاعته- وعرفت أن الناس مكذبي، فقعد معتزلا حزينا» [(١)]، وفي رواية عند مسلم: «فكربت كربة ما كربت مثله قط [(٢)].

هذا هو الإسراء أيها المسلمون، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء: ١]، عن أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ» [(٣)]، وهذا تهيئة لرؤية آيات ربه الكبرى، ثم أسري به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقظة لا مناما، بروحه وجسده من مكة من بيت أم هانئ إلى بيت المقدس، بصحبة جبريل راكبا البراق، وما ركبه أحد أكرم على الله تعالى نبينا ﷺ كما قال له جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، والبراق دابة بيضاء يشبه الفرس يضع حافره عند منتهى طرفه، فسار عليه حتى أتى بيت المقدس،

(١) رواه أحمد (٢٨١٩).
(٢) رواه مسلم (١٧٢).
(٣) رواه مسلم (١٦٣).

فربطه بالحلقة التي تربط فيها الأنبياء، ثم دخل المسجد فصلى في قبلته تحية المسجد ركعتين، ثم أوتي ﷺ بالمعراج، فصعد فيه إلى السماء الدنيا، فاستفتح له جبريل ففتح له، وتلقاه من كل سماء مقربوها، ورأى في السماء الدنيا آدم أبا البشر ﷺ، فسلم عليه فرحب به ورد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

ثم عرج به إلى السماء الثانية فرأى فيها يحيى وعيسى ابن مريم، ثم إلى الثالثة فرأى فيها يوسف، ثم عرج به إلى السماء الرابعة فرأى فيها إدريس، ثم عرج به إلى الخامسة فرأى فيها هارون ابن عمران، ثم عرج به إلى السماء السادسة فرأى فيها موسى ابن عمران، ثم رفع إلى السماء السابعة فرأى فيها أباه إبراهيم الخليل، مسندا ظهره إلى البيت المعمور الذي في السماء السابعة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يتعبدون فيه، ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة من كثرة ما في السماء من الملائكة الكرام، ثم جاوز عليه أفضل الصلاة والسلام جاوز منزلة الأنبياء عليهم السلام فَرُفِعَ حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام التي يكتب بها القدر، ثم عرج به إلى الجبار جل جلاله فرأى الحجاب وحجابه النور كما قال ﷺ، وأوحى الله إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه خمسين صلاة في اليوم والليلة، ثم خففها إلى خمس في العدد وخمسين في الأجر، وهذا فيه دلالة على كرامة هذه الأمة على ربها عَزَّوَجَلَّ وعلى رحمته بها وعلى عظم الصلاة وأهميتها حيث فرضها الله عَزَّوَجَلَّ من فوق السماوات، فيا فوز من حافظ عليها ويا خسارة من فرط فيها، ثم ذهب به ﷺ إلى سدرة المنتهى، قال ﷺ: « **فإذا ورقها كآذان الفيلة، تكاد الورقة تغطي هذه الأمة، وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها** »[٤]، وفي رواية قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: « **لما انتهيت إلى السدرة، فإذا نبقها مثل الجرار، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة،**

(٤) رواه أحمد (١٢٥٠٥).

فلما غشيها من أمر الله ما غشيها، تحولت ياقوتا، أو زمردا أو نحو ذلك » [٥]، فما يستطيع أحد أن يصفها، ثم قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: « ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ -أي قِباب اللؤلؤ- وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْك » [٦]، « وَرَأَيْتُ النَّارَ » [٧] ﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النَّجم: ١٤ - ١٨]،

ثم هبط ﷺ إلى بيت المقدس، وهبط معه الأنبياء فصلى بهم في بيت المقدس إماما، فدل على أنه هو الإمام المقدم عليه أفضل الصلاة وعليهم، ثم رجع ﷺ إلى قومه، فلما أصبح أخبرهم بما أراه الله عَزَّوَجَلَّ من آياته الكبرى، فاشتد تكذيبهم له وأذاهم وضراوتهم عليه، وسألوه أن يصف لهم بيت المقدس، ولم يكن قد رآه من قبل، يختبروه بذلك وليسخروا منه ﷺ، فقال ﷺ: « لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، قَالَ: فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ » [٨]، وفي رواية قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: « فجيء بالمسجد -وربك على كل شيء قدير- وأنا أنظر حتى وضع دون دار عقيل فنعته، وأنا أنظر إليه » [٩]، وطفق يخبرهم عن آياته، ولا يستطيعون أن يردوا عليه شيئا، وأخبرهم عن عيرهم في مسراه وفي رجوعه وأخبرهم عن وقت قدومها، وأخبرهم عن البعير الذي يقدمها، وكان الأمر كما قال فلم يزدهم ذلك إلا نفورا، وأبى الظالمون إلا كفورا إلا أهل الإيمان، فقد أرسلوا للصديق رضي الله عنه يخبروه عن صاحبه بما قال، فقال: إنا نصدقه بأكثر من ذلك، إنا نصدقه بخبر السماء صباح مساء، فسمي من ذلك اليوم الصديق، وهذا هو الواجب على المسلمين

(٥) رواه أحمد (١٢٣٠١).
(٦) رواه البخاري (٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣).
(٧) رواه البخاري (٥١٩٧)، ومسلم (٩٠٧).
(٨) رواه مسلم (١٧٢).
(٩) رواه أحمد (٢٨١٩).

اتجاه نبيهم واتجاه ما يخبر به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا.

أقول هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحد لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد؛

أيها المسلمون، إن من الأمور العظام، ومن آيات الله عَزَّوَجَلَّ التي رآها رسول الله ﷺ في مسراه جبريل عليه السلام رآه في صورته التي هو عليها، وقد خلق عليها له ست مئة جناح في حلة من رفرف، قد ملأ ما بين السماء والأرض، ومما رآه أيضا قوله ﷺ: «لما كانت الليلة التي أسري بي فيها، أتت علي رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل، ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها، قال: قلت: وما شأنها؟ قال: بينا هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم، إذ سقطت المدرى-المشط أو إناء الزيت- من يديها، فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟ -وفي رواية: تعنين أبي- قالت: لا، ولكن ربي وربّ أبيك الله، قالت: وإن لك ربا غير أبي؟ قالت: نعم، الله، قالت: فأخبر بذلك أبي، قالت: نعم-أي أخبريه- ، فأخبرته، فأرسل إليها فقال: ألك ربّ غيري؟ قالت: نعم، ربي وربك الله، فأمر بنقرة من نحاس فأحميت، ثم أمر بها أن تلقى هي وأولادها فيها، قالت له: إن لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد، وتدفننا، قال: ذلك لك علينا من الحق- أي جزاء ما قدمتيه لنا من خدمة- قال: فأمر بأولادها فألقوا بين يديها، واحدا واحدا،-وكلما ألقي واحد اشتوى وانفصل عظمه عن لحمه- إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مرضع، كأنها تقاعست من أجله-فأنطقه الله-، فقال: يا أمتاه اثبتي فإنك على الحق»، وفي رواية: «يا أمه، اقتحمي، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة،

فاقتحمت »[10]، هذا هو الإيمان أيها الناس إذا عمر القلوب، ودخلت بشاشته فيه، وهذه هي التضحية من أجل الإيمان ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ٣ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ٤ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [العَنكَبُوت: ٢ - ٦].

هذا هو الإسراء أيها المسلمون، وهذه بعض معالمه وهو من أعظم فضائل رسولنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولكن ذلك لا يخص بعبادة، فإنه لم يعرف عن أحد من المسلمين أنه جعل لليلة الإسراء فضيلة على غيرها، ولا كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان يقصدون تخصيص ليلة الإسراء بأمر من الأمور، بل لا يعرف أيّ ليلة كانت على التحقيق، قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لم يرد في فضل شهر رجب، ولا في صيامه، ولا في صيام شيء منه معين، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجة »[11]، والخير كل الخير في الاتباع، والوقوف على هدي النبي ﷺ وهدي صحابته عليهم رضوان الله، فالسعادة منوطة بذلك، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يثبتنا على هذا الدين العظيم، كما نسأل عَزَّوَجَلَّ أن يحفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كل فتنة ومن كل شر، نسأله عَزَّوَجَلَّ أن يوفق ولاة أمور المسلمين لما يحبه ويرضاه، وأن يرزقهم الصالحة، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١٠) رواه أحمد (٢٨٢١)، وابن حبان (٢٩٠٣).

(١١) تبيين العجب فيما ورد في شهر رجب (ص٢).